المحاضرة 10: دراسة تطبيقية حول الموضوع القرآني (الثبات على الدين في القرآن الكريم – دراسة موضوعية–.

المطلب الأول: معنى الثبات في اللغة.

قال الجوهري في الصحاح:" ثبت الشئ ثباتا وثبوتا، وأَثْبَتَهُ غيره وثَبَّتَهُ، بمعنىً؛ ويقال: أَثْبَتَهُ السُقْمُ، إذا لم يفارقه، وقوله تعالى: (**لِيُثْبِتوكَ**) أي يَجْرَحوكَ جِراحةً لا تقوم معها، وتثَبَّتَ الرجل في الأمر، واستثبت بمعنى؛ ورجل ثَبْتٌ، أي ثابتُ القلب... وتقول أيضاً: لا أحكم بكذا إلا بِثَبَتٍ، أي بحُجَّةٍ. والثَبيتُ: الثابِتُ العقل "[1].

وقال ابن فارس:" (ثبت) الثاء والباء والتاء كلمةٌ واحدة، وهي دَوامُ الشيء؛ يقال: ثَبَتَ ثباتاً وثُبُوتاً، ورجل ثَبْتٌ وثبيت "[2].

وجاء في مفردات غريب القرآن أن:" **الثَّبَات ضدّ الزوال**، يقال: ثَبَتَ يَثْبُتُ ثَبَاتاً، قال الله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا)(الأنفال– الآية: 45)... ونبوّة النبيّ صلّى الله عليه وسلم ثابتة... يقال: ثَبَّتُهُ، أي: **قوّيته**، قال الله تبارك تعالى: (وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْناكَ)(الإسراء – الآية: 74). "[3].

بتأمل ما سبق يتضح أن دلالة الثبات في اللغة تدور حول معنى اللزوم والدوام والاستقرار.

المطلب الثاني: الثبات في السياق القرآني.

أولا:الصيغ التي ورد عليها لفظ " الثبات " في السياق القرآني.

وردت اشتقاقات مادة(ثبت) بصيغ مختلفة في القرآن الكريم – المكي منه والمدني – وهي صيغة الفعل الماضي، والمضارع، والأمر، والأسماء؛ ويمكن توضيحها كالآتي:

الأولى:" ثَبَّتْناكَ " الفعل الماضي من التثبيت؛ حيث أخبر الله تعالى أنه لولا تثبيته لنبيه على الحق

---

[1] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية– ابن فارس – مادة: (ثبت) – دار العلم للملايين – ط.1 – 1376هـ - 1956م - ج:1 – ص:245.

[2] مقاييس اللغة – ابن فارس – مادة: (ثبت) - ج:1 – ص:399.

[3] مفردات غريب القرآن – الأصبهاني – مادة: (ثبت)– ص:171.

بالعصمة لقارب أن يميل إلى اتباع مرادهم اتباعا قليلا لشدة احتيالهم وإلحاحهم، فمنع أن تقرب من الركون، فضلا عن أن يركن إليهم؛ قال الله تعالى: **(وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا)**(الإسراء- الآية: 74)؛ وهي الصبغة الوحيدة في القرآن المكي والمدني.

الثانية:" يُثَبِّتَ " الفعل المضارع من التثبيت، حيث أخبر الله تعالى أنه أنزل المطر يوم بدر على أهل الإيمان حتى تثبت الأقدام به على الرمال في قوله تعالى: : **(إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ)**(الأنفال- الآية: 11)؛ ووردت صيغة المضارع في خمسة مواضع أخرى في القرآن المكي من ذلك: قوله تعالى: **(وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)**(هود- الآية: 120)، وثلاثة مواضع في القرآن المدني منها قوله تعالى: **(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)**(الأنفال – الآية: 30).

الثالثة:" ثَبِّتْ " فعل الأمر من التثبيت، ووردت بهذه الصيغة باعتبار المخاطب بالفعل مفردا أو جمعا في القرآن المدني فقط دون القرآن المكي، وأولها في سورة البقرة في قوله تعالى:(**وَلَمَّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وَجُنُودِهِ قالُوا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدامَنا وَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ)**(البقرة – الآية: 250).

الرابعة: " ثابت" في قوله تعالى:(**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)** (إبراهيم – الآية: 24).وهي في موضعين من نفس السورة المكية: أما أحدهما فبالتنكير وأما الآخر فبالتعريف(الثابت).

الخامسة:" ثبوت"وردت وحيدة في سورة مكية في قوله تعالى: **(وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا)** (النحل – الآية: 94).

السادسة:"تثبيتا" الاسم من ثبَّتَ في قوله تعالى: **(وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** (البقرة – الآية: 265).

ووردت بهذه الصيغة كذلك في قوله تعالى: **(وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا)** (

النساء – الآية: 66).

ثانيا:معاني الثبات الواردة في القرآن الكريم حسب السياق القرآني.

1: المنعة والتقوية والنصرة وسواء كانت حسية أو معنوية من ذلك ما ورد في قوله تعالى: **(وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا)**(الإسراء– الآية: 74).

قال الطاهر بن عاشور:" والمراد تثبيت فهمه ورأيه، وهذا من الحكم على الذات...والمعنى ولولا أن ثبتنا رأيك فأقررناه على ما كان عليه في معاملة المشركين لقاربت أن تركن إليهم"[4].

2:التسكين للقلب: وهذا ورد في قوله تعالى: **(وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ)** (الإسراء– الآية: 120).

قال الطاهر بن عاشور:" والتثبيت : حقيقته التسكين في المكان بحيث ينتفي الاضطراب والتزلزل"[5].

3:شدة البقاء والثبوت على حالة ما: وهذا ورد في قوله تعالى: **(وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا)** (النساء – الآية: 66).

قال الرازي:" أن يكون أثبت وأبقى لأنه حق والحق ثابت باق، والباطل زائل"[6].

4:**لزوم الحال الذي يشق على النفس مما يقتضي الصبر عليه:** وهذا ورد في قوله تعالى: **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** (الأنفال– الآية: 45).

قال المراغي:" أي إذا لقيتم فئة من أعدائكم الكفار فاثبتوا لهم ولا تفروا أمامهم، فإن الثبات قوة معنوية طالما كانت السبب في النصر والغلبة بين الأفراد والجيوش"[7].

5:**الوثاق والحبس:** وهذا ورد في قوله تعالى: **(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)** (الأنفال– الآية: 30).

---

[4] التحرير والتنوير – الطاهر بن عاشور - ج:15– ص:174.

[5] التحرير والتنوير – الطاهر بن عاشور - ج:12– ص:191.

[6] مفاتيح الغيب – الفخر الرازي - ج:10– ص:135.

[7] تفسير المراغي – أحمد مصطفى المراغي – مصر – مصطفى البابي الحلبي – ط.1 - 1365هـ - 1946م - ج:10– ص:09.

قال الزحيلي:" لِيُثْبِتُوكَ: يوثقوك بالوثاق، ويحبسوك بالقيد، حتى لا تقدر على الحركة "[8].

6: **التحقيق والتصديق واليقين؛** وهذا ورد في قوله تعالى: **(وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** (البقرة – الآية: 265).

قال الزحيلي:" وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ تحقيقا للثواب أو تصديقا ويقينا بثواب الإنفاق من عند أنفسهم"[9].

7:**الرسوخ والتمكن:** وهذا ورد في قوله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)** (إبراهيم – الآية: 24).

قال الزحيلي:" أصلها ثابت، أي راسخ باق متمكّن في الأرض لا ينقلع"[10].

خلاصة.

مما سبق فمعاني الثبات كلها تدور في فلك المعنى اللغوي الذي يفيد اللزوم والدوام والاستقرار؛ فالمنعة والتقوية والنصرة أسباب خارجية تعين على الثبات، والتسكين للقلب من مقومات الثبات، وشدة البقاء ولزوم الحال والرسوخ والحبس على الشيء من مظاهر الثبات، والتصديق واليقين أسباب داخلية تدفع إلى الثبات.

وحاصل البيان: أن الثبات على الدين يقصد به لزوم اتباع ما الله به أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، ومجاهدة النفس على ذلك، ولا يتحصل تحقيقه إلا باليقين والصدق مع الله تعالى؛ ومتى علم الله ذلك من عبده امتن عليه بالنصرة والتأييد والتقوية.

المطلب الثالث: أساليب القرآن الكريم في عرض الثبات والدعوة إليه.

بالتأمل في الآيات السابقة نجد أن القرآن الكريم تنوعت أساليبه في عرض الثبات والدعوة إليه، ويمكن بيان أهمها كالآتي:

---

[8] التفسير المنير – وهبة الزحيلي - ج:9– ص:304.

[9] التفسير المنير – وهبة الزحيلي - ج:3– ص:52.

[10] التفسير المنير – وهبة الزحيلي - ج:13– ص:241.

1: الترغيب بجلب المحبوب ودفع المرهوب. [11]

قال تعالى:(**وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار**).(الرعد – الآية: 22-23).

فالذين يصبرون على الطاعة وامتثال الأمر الإلهي بشرهم الله تعالى بتهنئة ملائكة أطهار أبرار على دخولهم الجنة التي عرفها لهم؛ وفي هذا حث على الصبر والإصطبار في الثبات على دين الله تعالى؛ وفي مقابل ذلك توعد الله المخالفين والناكبين عن الحق بالخزي في الدنيا والآخرة فقال: (**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**).(طه – الآية: 124).

2: الوعد المقرون بتحقيق الشرط.

قال تعالى:(**يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**).(محمد – الآية: 07).الجزاء من جنس العمل فتحقق النص وتثبيت الأقدام مشروط بنصر الله تعالى أي بنصر دينه ورسوله وعباده المؤمنين، والثبات عليه.

3:المدح. [12]

من صور مدح الثبات على الدين في القرآن الكريم والدعوة إليه إضافته التشريفية إلى الله تعالى وملائكته.قال تعالى: (**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**) (إبراهيم – الآية: 24)، وقال كذلك:(**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ**) (الأنفال – الآية: 12).

4:صيغة الأمر.ومثال ذلك ما ورد في قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ**) (الأنفال – الآية: 45). فبالثبات والصبر واليقين يتحقق النصر المبين.

5:ضرب المثل للسامع.

---

[11] ينظر: الثبات على الحق في ضوء القرآن الكريم – عبد العزيز بن عبد الله الخضيري – مجلة العلوم الشرعية – 1429هـ - 2008م – المجلد:1 – العدد:1 – ص:89.

[12] ينظر: الثبات على الحق في ضوء القرآن الكريم – عبد العزيز بن عبد الله الخضيري – ص:89.

قال تعالى:(**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ**) (ابراهيم – الآية: 24-26).

قال وهبة الزحيلي:" إن الثبات في المعرفة والطاعة يوجب الثبات في الثواب والكرامة من الله تعالى "[13].

المطلب الرابع: مقومات الثبات في القرآن الكريم.

الثبات نتيجة وثمرة لا بد لها من مقومات وموجبات تتحقق بتحصيلها الغاية ومنها:

1:تحقيق الإيمان بالله تعالى. الإيمان بالله رأس الشريعة وعمودها وذروة سنامها، والناس تتفاوت رتبهم في الثبات على دين الله بقدر تفاوتهم في درجات الإيمان بربهم، فمتى كان العبد من ربه أقرب كان أدعى إلى الثبات على دينه وتحكيم شريعته.

قال الله تعالى: (**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**) (إبراهيم – الآية: 26).

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها "[14].

2: العمل الصالح: إن منهج الإسلام ميسر لينهض به كل ذي فطرة سوية، إنه لا يحتاج للعزائم الخارقة الفائقة التي لا توجد عادة إلا في القلة من البشر؛ إنه جاء للناس جميعاً والناس معادن، وألوان، وطبقات من ناحية القدرة على النهوض بالتكاليف؛ وهذا الدين ييسر لهم جميعاً أن يؤدوا الطاعات المطلوبة فيه، وأن يكفوا عن المعاصي التي نهى عنها؛ فمجرد البدء، يتبعه العون من الله، ويتبعه التثبيت على المضي في الطريق،ويتبعه الأجر العظيم، وتتبعه الهداية إلى الطريق المستقيم، وصدق الله العظيم (**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا**

---

[13] التفسير المنير – وهبة الزحيلي - ج:13– ص:241.

[14] تفسير السعدي– ص:425.

مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا) (النساء – الآية: 66). [15]

3: الدعاء.وهو السلاح الأمضى، والعامل الأقوى، وله فعله في النفوس يثبتها ويقومها، وحسبك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر من الدعاء بالثبات ويعلمه أمته. [16]

فعن شهر بن حوشب قال: قُلتُ لأمِّ سلمةَ: " **يا أمَّ المؤمنينَ ما كانَ أكْثرُ دعاءِ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ إذا كانَ عندَكِ ؟ قالَت: كانَ أكْثرُ دعائِهِ: يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ قالَت: فقُلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ما أكثرُ دعاءكَ يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ ؟ قالَ : يا أمَّ سلمةَ إنَّهُ لَيسَ آدميٌّ إلَّا وقلبُهُ بينَ أصبُعَيْنِ من أصابعِ اللَّهِ، فمَن شاءَ أقامَ، ومن شاءَ أزاغَ فتلى معاذٌ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا**"[17].

4: الصبر والمصابرة على السير في طريق الحق.

قال الله تبارك وتعالى:(**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ**).(محمد – الآية: 07).

قال سيد قطب:" اثبت على ما أنت فيه، وسر في طريقك لا تحفل ما كان منهم وما يكون، سر في طريقك مطمئن القلب...وهذه العقيدة متصلة بحقيقة الكون الكبرى، متناسقة مع الناموس الكلي الذي يقوم عليه هذا الوجود، فهي مستقيمة معه لا تنفرج عنه ولا تنفصل وهي مؤدية بصاحبها إلى خالق هذا الوجود ، على استقامة تأمن معها الرحلة في ذلك الطريق! والله سبحانه يثبت رسوله صلى الله عليه وسلم بتوكيد هذه الحقيقة، وفيها تثبيت كذلك للدعاة من بعده ، مهما لاقوا من عنت الشاردين عن الطريق"[18].

5:حسن الاعتبار بقصص القرآن.

قال تعالى:(**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ**).(هود – الآية: 120).

قال سعيد حوى:" وكل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم،

---

[15] ينظر: في ظلال القرآن– سيد قطب – ج:2– ص:171 وما بعدها.

[16] الثبات– محمد موسى الشريف – دار الأندلس الجديدة – ط.1 – 1429هـ - 2008م – ص:37.

[17] صحيح الترمذي /كتاب : الدعوات – رقم الحديث: 3522/ص:447 – قال الألباني: صحيح.

[18] ينظر: في ظلال القرآن– سيد قطب – ج:6 – ص:– ص:377.

وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين، وخذل أعداءه الكافرين، كل هذا مما نثبت به فؤادك أي قلبك يا محمد؛ ليكون لك بمن مضى من أخوانك من المرسلين أسوة، ومعنى تثبيت فؤاده: زيادة يقينه لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب ...وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ أي وذكرى يتذكر بها المؤمنون "[19].

المطلب الخامس: مواطن الثبات في القرآن الكريم.

ورد في كتاب الله تعالى إشارة إلى بعض المواطن التي يتعين على المؤمن الثبات فيها على الحق استدرارا للخير ودفعا للشر ومنها:

1: الثبات على الطاعة.

قال الله تعالى:(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ). (الروم – الآية: 69).

فمن جاهد بالطاعة – والجهاد يعم أنواع الجهاد الظاهرة والباطنة لكل الأعداء – ونصر دين الله، وقاتل أعداء الله المكذبين بكتابه ورسوله، هداه الله ووفقه إلى طريق الجنة وطريق السعادة والخير في الدنيا والآخرة .[20]

2: الثبات أمام فتن الابتلاءات.

اقتضت سنة الله أن لا تخلو هذه الدنيا من لأواء وضراء، ولا تستقيم لأحد على حال؛ فأما المؤمن فيقابلها بالصبر والثبات فتكون خيرا له، وأما المنافق فيتبرم ويتسخط فيحل عليه سخط الله تعالى.**قال الله تعالى:(أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ).** (العنكبوت – الآية: 01).

والمراد إنكار حسبانهم أن يتركوا غير مفتونين بمجرد أن يقولوا آمنا واستبعاد له وتحقيق أنه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وفنون المصائب في الأنفس والأموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل فيه فيعامل كل بما يقتضيه ويجازيهم سبحانه بحسب مراتب أعمالهم فإن مجرد الإيمان وإن كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في النار. [21]

---

[19] ينظر: الأساس في التفسير – سعيد حوى - ج:5– ص:– ص:2610.

[20] ينظر: التفسير المنير – وهبة الزحيلي - ج:21– ص:– ص:35.

[21] روح المعاني – الألوسي - ج:10– ص:– ص:337.

3: الثبات عند الجهاد في سبيل الله تعالى.

التلاحم مع العدو حلقة من الحلقات الفاصلة بين الحق والباطل التي تستوجب الثبات دون التهوين والتهويل؛ قال تعالى: **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** (الأنفال- الآية: 45).

قال المراغي:" أي إذا لقيتم فئة من أعدائكم الكفار فاثبتوا لهم ولا تفروا أمامهم، فإن الثبات قوة معنوية طالما كانت السبب في النصر والغلبة بين الأفراد والجيوش"[22].

ولذلك عد النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم الفرار من الزحف من أكبر الكبائر، فقال:"

اجتنِبوا السبعَ الموبقاتِ : الشركُ باللهِ، و السحرُ، و قتلُ النَّفسِ التي حرَّم اللهُ إلا بالحقِّ، وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليتيمِ، والتولِّي يومَ الزَّحفِ، وقذفُ المحصناتِ المؤمناتِ الغافِلاتِ" [23].

المطلب السادس: قصة أصحاب الأخدود نموذج للثبات على دين الله.

قال تعالى: **(قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)** (البروج- الآية: 4-9).

1: خلاصة القصة.

إن قصة أصحاب الأخدود تمثل حلقة من حلقات السجال بين أهل الحق وأهل الباطل، حيث قام أصحاب الأخدود بشق الأرض طولاً وجعلها أخاديد، ثم أضرموا فيها النار ليحرقوا بها المؤمنين؛ وأي نار هي؟ يصفها ربنا تبارك وتعالى: (النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ) أي النار العظيمة المتأججة، ذات الحطب واللهب؛ ثم بالغ تعالى في وصف المجرمين فقال (إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ على مَا يَفْعَلُونَ بالمؤمنين شُهُودٌ) أي حين هم جلوس حول النار يتشفون بإحراق المؤمنين فيها، ويشهدون ذلك الفعل الشنيع؛ **و**حضورهم الإحراق دليل على أنهم قوم غلاظ الأكباد قساة القلوب، تمكّن الكفر والباطل منهم،

---

[22] تفسير المراغي – أحمد مصطفى المراغي - ج:10– ص:09.

[23] صحيح البخاري/كتاب : الدعوات – رقم الحديث: 2766/ص:447.

وتجرّدوا عن الإنسانية، وفقدوا الرحمة. [24]

وكل ذلك ما صدهم عن دينهم شيئا، وهذه ثمرة الإيمان الصادق الذي إذا تملك القلوب ذابت شوقا للقاء ربها، وهان عندها كل نفيس دونه.

2:غرض القصة:

بيّن الله أن حال الكفار في كل عصر، مع الأنبياء، شبيه بحال أصحاب الأخدود، في إلحاق أذى الكفار بالمؤمنين، فهم دائما في صراع معهم وعداوة وإيذاء؛ والقصد من هذا كله ترهيب الكفار، وتثبيت المؤمنين على إيمانهم، وشدّ عزائمهم بالصبر، وتطمينهم بأن كفار قريش سيلقون مثلما أصاب الأقوام السابقة: فرعون وأتباعه وثمود. [25]

3:الدروس والعبر المستفادة من عرض القصة.

هناك جملة من الدروس والعبر واللطائف التي يمكن أن تستفاد من قصة أصحاب الأخدود منها:

- ✓ يحتمل أن يكون المراد من قوله تعالى:(**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ**) أصحاب الأخدود فقط، ويحتمل أن يكون المراد كل من فعل ذلك **وهذا أولى** لأن اللفظ عام والحكم عام فالتخصيص ترك للظاهر من غير دليل. [26]
- ✓ أصل الفتنة الابتلاء والامتحان، وذلك لأن أولئك الكفار امتحنوا أولئك المؤمنين وعرضوهم على النار وأحرقوهم.[27]
- ✓ إن السورة وردت **لتثبيت المؤمنين** على ما هم عليه من الإيمان وتصبيرهم على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وصبرهم على ذلك حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا إن هؤلاء عند الله بمنزلة أولئك المعذبين ملعونون مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم. [28]

---

[24] ينظر: صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني – دار القرآن الكريم – ط.4 – 1402هـ - 1981م - ج:3– ص:515 وما بعدها، والتفسير المنير – وهبة الزحيلي - ج:30– ص:158.

[25] التفسير المنير – وهبة الزحيلي - ج:30– ص:158.

[26] مفاتيح الغيب – الفخر الرازي - ج:31– ص:113.

[27] مفاتيح الغيب – الفخر الرازي - ج:31– ص:113.

[28] روح المعاني – الألوسي - ج:10– ص:386.